مجلة دراسات إنسانية واجتماعية / جامعة وهران02/ المجلد 14 ع 01،
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

الإبداع النسوي بين الهيمنة الذكورية وكثافة الوعي
-قراءة في رواية المتمردة لمليكة مقدّم-

Feminist creativity between male domination and the intensity of consciousness
-a reading in the rebellious novel by Malika Muqaddam-

Nacéra Aourai * عوراي نصيرة aourainacira49@gmail.com	أدب عربي	كلية الآداب واللغات والفنون سيدي بلعباس/ الجزائر
د. مسلم عائشة Pr. Meslem aicha Aourai Meslemaicha18@gmail.com	أدب عربي	كلية الآداب واللغات والفنون سيدي بلعباس/ الجزائر
DOI : 10.46315/1714-014-001-009		ORCID:

الإرسال: 2024/07/10 **القبول**: 2024/11/30 **النشر**: 2025/01/16

**

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى الوقوف على معالم الذات الأنثوية والاطلاع على قضاياها وانشغالاتها وهي تصارع المجتمع الذكوري المسيطر على كل مجالات الحياة، ونظرا للقهر والتهميش الذي تعرضت له المرأة من طرف الرجل، إلا أنها كانت تطمح دائما للوصول إلى أعلى المراتب لتصبح متكافئة معه في جميع الحقوق والواجبات، فراحت تشق طريقها مقتحمة بذلك عالم الكتابة الروائية لتقدّم لنا صورة أخرى عن المرأة كتجربة إبداعية كانت مقهورة في عالم ذكوري لم ينصفها تاريخيا، وهذا ما أرادته الروائية (مليكة مقدم) أن تكون فاعلة في مجتمعها، وأن يكون صوتها مسموعا من طرف الرجل.

كلمات مفتاحية: المرأة؛ إبداع؛ نسوي؛ سلطة؛ ذكورية؛ مواجهة.

Abstract:

This article aims to stand on the parameters of the female self and see its issues and preoccupations as it wrestles with the male society that dominates all areas of life, and given the oppression and marginalization that women have been subjected to by men, they have always aspired to reach the highest levels to become equal with him in All rights and duties, she started making her way through the world of novel writing to provide us with another picture of women as a creative experience that was oppressed in a male world that was not fair to her historically.

Keywords: Male, Creativity, Power, Feminist, Confrontation

**

1_ مقدمة

تعد المرأة أهم محاور المجتمع ثقافيا، وفكريا، وسياسيا، واجتماعيا، وأسريا، حيث أصبحت الإشكالية التي تبدأ بها النخبة أوراقها في قضايا الحداثة والتنظير، إذ مثلت المحور المركزي الذي تدور حوله النظرية النقدية. كما نجد حضورها بامتياز في أعمال الكتاب، والشعراء، والفلاسفة. فهي كيان استطاع أن يثبت مدى قدرته على التأقلم في مجتمع فحولي يُعز الكثير من الوظائف للرجل على اعتبار واسع منه، وحتى تتمكن المرأة من وضع مكانة لها في الساحة الثقافية اقتحمت مجال الأدب

* - الباحث المُرسل: aourainacira49@gmail.com

استنادا إلى قناعة ذاتية، فحواها أن الأدب لا يفرق بين الهوية الجنسية للرجل والمرأة، من باب أن النص ومدى مناقشته للقضايا الإنسانية هو الفيصل بينهما.

إنّ تجربة الكتابة عند المرأة ليست سوى رهان مع الذات على قول ما لا تستطيع اللغات الأخرى تشكيله، والعمل على نقل الأفكار والأحداث إلى رموز تترجم ما كان الإنسان عاجزا عن وصفه أو قوله، ولإغلاق دائرة الاتهامات على إبداعها، سعت المرأة الكاتبة إلى وضع لمسات جوهرية خصّت بها كتاباتها لتترجم واقعها المرير الذي أراد إبقاءها في موقع التابع الخانع للآخر، فكان للرواية الحظ الأوفر في مسارها الإبداعي حيث جاءت الكتابة الروائية للمرأة العربية عامة والجزائرية خاصة، مجالا لكشف قدراتها الفنية في التعامل مع اللغة، باعتبار الرواية الجنس الأكثر تحررا للبوح عن الآهات الداخلية ومحاولة التفرد بنصها الروائي الذي حرر قدراتها الفكرية، وعمّق تجربتها في الحياة، وساعدها على ولادة نصوص إبداعية تنبض بالأنوثة والعنفوان، وأخرجها من عصر الضعف والقيد إلى عصر القوة والمواجهة حيث اتخذت القلم سلاحها، وسرّ إبداعها، فأصبحت كتاباتها انفتاحا على الداخل وثورة على الخارج.

أصبح موضوع الكتابة النسوية في الأدب مركز اهتمام النقاد والأدباء، فلفت الانتباه إليه بشدة لما يمتلكه من مقومات حداثية استطاعت أن تثبت جدارة الحضور النسوي في المشهد الثقافي العربي، ومدى ارتباطه بالواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي المرير، وقد طرحت عدة تساؤلات وإشكالات في الساحة الأدبية عامة والنقدية خاصة حول طريقة تشكل المتن الحكائي في الرواية، ومن بينها ما يتعلق بالذات الكاتبة والهوية الأنثوية، وكذلك فوضى الاختلاف والتصنيف في التسمية. التي بقيت تتراوح بين الرفض والقبول لدى الكثير من الباحثات والمبدعات، فظهرت عدة مصطلحات وتسميات لهذه الكتابة منها" الأدب النسوي"، "الأدب النسائي"، "الأدب الأنثوي"، ويوجد من نعته ب «أدب الأظافر الطويلة".

وعلى هذا الأساس فإن رغبة المرأة من وراء تجربتها الإبداعية النسائية، إعادة تصحيح النظرة الثقافية الذكورية للمرأة بولوجها عالم الكتابة والإبداع، وحفاظا على هويتها وإثبات ذاتها داخل وضع ثقافي واجتماعي تعوَّد على طمس الطموحات الأنثوية وإقصاء الحضور المعرفي والإبداعي للمرأة. ومن هنا يمكننا طرح الإشكالية الآتية: ما مفهوم الكتابة النسائية؟ وفيما تتجلى خصوصيتها؟ وما موقف الأدباء والنقاد من هذا النوع من الأدب؟ وأين يتجلى عنفوان كتابتها؟ وهل استطاعت المرأة بولوجها عالم الكتابة الروائية أن تحقق مكانتها في المشهد الثقافي؟

ولمّا كان هذا الطرح يسعى إلى إيضاح سمة الأنوثة والعنفوان في سرد المرأة لمواجهة الآخر، وتبيان مدى أهمية خطاب الأنوثة وتشكيلها في الكتابة العربية المعاصرة، فقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، فوقع اختيارنا في هذه القراءة على مبدعة جزائرية برزت في مجال الرواية " مليكة مقدّم" لأنها حاولت إثبات تواجد الذات الأنثوية المثقفة من خلال فعل الإبداع حتى لا يكون حكرا على الآخر، ورفضت حياة الرق والظلام التي فرضها المجتمع الذكوري، فسرد المرأة جاء ثورة على المجتمع وتمردا عليه وعلى العادات والتقاليد التي قيدت حريتها وسلبت منها أبسط حقوقها الإنسانية،

مجلة دراسات إنسانية واجتماعية / جامعة وهران02/ المجلد 14 ع 01،
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

كما جاء من أجل تطوير كتابة المرأة واكتشاف مكبوتاتها، وبما أن هذا النوع من الكتابة يعد موضوعا جديدا نسبيا في الثقافة العربية على عكس الثقافة الغربية، فإن مواجهته لا يزال محتشما ومحكوما بعوائق سوسيو ثقافية مرتبطة بالثقافة العربية.

2 –الكتابة النسوية –إشكالية المفهوم والمصطلح والخصوصية-:

يعد تاريخ المرأة منذ القديم غامضا، ولم يكن لها تاريخ منفصل عن الآخر المسيطر، الذي احتقرها وتأكد بأنها أدنى منزلة بالفطرة، حيث عاشت في ظل ممارسات وسلوكات متناقضة، ينظر إليها المجتمع المتخلف نظرة تناقضية حادة، إذ كانت هي المرغوب والمرهوب، غير مرضي عنها في المجتمع، لكن الدين أنصفها وأعطاها حقوقها منها حرية التعبير التي تعد عاملا في إبراز شخصيتها، لكن "الجنس الآخر بثقافته الموروثة، وسيطرته على اللغة حرمها من هذا الحق، ومنعها من الكتابة" (الغذامي، 2006، صفحة 09)، لكن بالرغم من كل القهر الذي تعرضت له المرأة من طرف الرجل إلا أنها استطاعت أن تثبت قدرتها على الكتابة، وفرض وجودها بأي طريقة تجدها نافعة ومؤسسة لمعالم الكتابة.

لقد أثار موضوع المرأة جدلا واختلافا في تاريخ الثقافات البشرية، إذ كانت ولازالت في التَّصور غير العادل الأدنى منزلة وأقل أهمية من الرجل على المستويين الإنتاجي والثقافي، و" بذلك جاءت قضاياها أكثر تعقيدا لأنها مستلبة وموءودة معنويا وجسديا إلى حدّ أنّها لا تحيا بنفسها ولا لنفسها، إنّها للزوج وبالزّوج...، وهي تنظر بعينه، وتسمع بأذنيه، وتحيا بإرادته وحدها في مجتمع جاهلي متخلف يخيم عليه ظلام عبودية المرأة، وقد مارس وأد المرأة معنويا، كما مارس الأجداد وأد المرأة جسديا" (مناصرة، 2007، صفحة 12)، إن واقع المرأة المرير هو حصيلة تراكمات وموروثات الماضي التي فرضها المجتمع الذكوري المسيطر، لكن هذه الهيمنة الذكورية بعثت في المرأة حماسا وعزيمة للدفاع عن كينونتها بوسائل أكثر تأثيرا، فكان الإبداع الفني أحد سبلها وطرقها المنتهجة لفرض وجودها في المجتمع .

يعد الحديث عن المرأة والإنتاج الفني من المواضيع الأكثر بروزا في الساحة النقدية، إذ ليس بالأمر السهل إعطاء أحكام جازمة فيما يخص هذا الموضوع، فنحن في الحقيقة أمام جدليتين في جدلية واحدة تمثلت في كتابة المرأة، " فالعلاقة بين المرأة والكتابة في الحقيقة هي إشكالية تاريخية حضارية عامة تنبئ بكثير من التحولات في التصورات والخطابات." (الزهراني، 1999، صفحة 68)، فالكتابة كانت المتنفس الوحيد للكشف عن وجوها، وما يحمله كيانها من أحاسيس، وعبارات ومشاعر للهروب من تلك الصورة التي رسمها لها المجتمع، وهي صورة المرأة الضعيفة الخائفة من السلطة الأبوية، لتثبت للرجل أنها امرأة إنسانة وليست مجرد أداة للمتعة فقط، بل هي شريكته في الحياة لديها كيان وتفكير وشخصية ومشاعر، و"كأن لسان حالها يقول: أنا هنا، فالحضور يحاور الغياب والكينونة تحاور العدم، ورؤية المرأة لا تزال قائمة على الاختراق والتجاوز، لا القبول والمصالحة". (السائح، 2012، صفحة 23)

ولا يتجلى ذلك إلا عن طريق السرد، حيث تقول فضيلة الفاروق في رواية تاء الخجل: " قد تفهمني بعد أن أسرد لك وجعي كلّه، وقد لن تفهمني، لكني أكون قد وجدت مبررا لنفسي لأني غادرت، فكل

شيء صار أزرق وكبيرا، وتستحيل السباحة فيه بما في ذلك وظيفتي، وعلاقتي مع الناس، علاقتي مع الكتابة". (الفاروق، 2003، صفحة 15)، فالمرأة بطبعها تعشق السرد ولجأت إليه لأنها وجدت فيه الأرض الخصبة التي تزرع فيها أفكارها وتطلعاتها وتحكي أهاتها وتترجم فيها أوجاعها لتثبت للأخر أن لها كيان ووجود وحضور في المجتمع وحتى الإبداع الفني.

استطاعت المرأة أن تدخل عالم الكتابة التي لطالما استحوذ عليها الرجل، فأثبتت ذاتها وأعلنت عن أدب له خصوصيته، فكثر الاهتمام بالأدب النسوي في النصف الثاني من القرن العشرين، إذ حدث جدل واختلاف بين الأدباء والدارسين حول طبيعة الأدب النسوي، فقد أثار هذا المصطلح ضجة وتساؤلات داخل الساحة الأدبية والنقدية، بسبب عدم ضبط وتحديد مفهوم دقيق وشامل لهذا المصطلح.

فعلى الرغم من تداوله في الملتقيات الأدبية والندوات واللقاءات إلا أنه لايزال مبهما ويشوبه الغموض، ويتم تناوله في غياب الإطار النظري مما أدى إلى ظهور مسميات عديدة ومفاهيم متباينة في الساحة الأدبية والنقدية، واختلفت الآراء حول التسميات فهناك من يستعمل لفظ النسوية، وبعضهم يفضل لفظ النسائية، بالرغم من تشابه دلالتهما على حسب النقاد، ومن أمثال من فرّق بينهما نجد " رياض القرشي" الذي يرى: " أن النسائية هي الفعاليات التي تقوم بها النساء دون اعتبار للبعد الفكري والفلسفي، بينما النسوية هي تعبير عن مضمون فلسفي وفكري مقصود" (القرشي، 2008، صفحة 63)، وهذا ما اختلف حوله العلماء، فالتسميات مختلفة لكن الهدف واحد ويتمثل في إثبات صوت المرأة، وردِّ الاعتبار لها لكونها كائنا إنسانيا مناظرا للرجل، كفيل بزحزحة العلاقة بينها وبين الآخر، ونقلها من مستوى التبعية إلى مستوى الشراكة.

حدث تضارب في الآراء بين الدارسين والأدباء حول العلاقة بين الرجل والمرأة وخاصة في النتاج الإبداعي، فهناك من يفرق العمل بينهما على أساس كل جنس لوحده، وهناك من ينفي وجود الكتابة النسائية تماما باعتبار أن كتابة المرأة أساسها إبداع الرجل، وهذا ما جعل المصطلح يشير في دلالته إلى الأدب الذي تكتبه المرأة، أي أنه مرتبط بالهوية الجنسانية لكاتبة العمل، وقد "دفع فهم المصطلح على هذا الأساس بالعديد من الكاتبات إلى رفضه، لأنهن وجدن فيه محاولة لتقسيم الأدب على أساس الهوية الجنسانية لكاتبه من أجل تكريس وضع المرأة القاتم، وإعاقة عملية اندماجها في المجتمع". (العيد، 1975، صفحة 18)، فلا يهم إن كان الكاتب ذكرا أم أنثى ولكن الأهم من ذلك كيف نستخلص هوية المرأة الثقافية من خلال إبداعاتها.

إذن فالكتابة التي تكتبها المرأة على مستوى التجنيس مفتوحة على وجهات نظر " أدب نسائي، أدب أنثوي، وأدب نسوي"، وهذا الاختلاف في التسميات أي إلى تباين في الآراء واختلاف وجهات نظر الأدباء والكتاب بين مؤيد ورافض، وهذا ما سنتطرق إليه بالقول.

3-الأدب النسوي/ النسائي بين الرفض والقبول:

أصبح تحديد مفهوم شامل وثابت للكتابة النسوية/ النسائية أمرا صعبا، حيث لايزال غامضا ومعقدا عند كل أديب وناقد ومفكر، فقد تعددت مصطلحاته من ناقد لآخر واختلفت تعريفاته وكثرت

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

اتجاهاته، لكن الهدف واحد يتمثل في تحرير المرأة والاهتمام بإبداعها حتى تصبح قادرة على توصيل رسالتها وصرختها إلى المجتمع الذي ظلمها بعاداته وتقاليده البالية وحرمها من حريتها وسلب منها حقوقها، فأصبحت مسألة حساسة اتخذت في مسلكها وبداية مشوارها طريقا مزدوجا تجسد بين الرفض والقبول عند الأدباء والنقاد، فنجد "الكتابة النسوية عند البعض تشير إلى أن يكون النص الإبداعي مرتبطا بطرح قضية المرأة، والدفاع عن حقوقها دون ارتباط بكون الكاتبة امرأة" (معمري، 2011، صفحة 47)، كما يوجد من قام بنفي هذا النوع من الأدب نفيا تاما، ورفع الكفة نحو كل ما يرتبط بإبداع الرجل وكتاباته تحت شعار "الأصل التذكير".

ترفض الناقدة خالدة سعيد مصطلح الإبداع النسائي، فترى أنه" مصطلح شديد العمومية، وشديد الغموض، وهو من التسميات الكثيرة التي تشيع بلا تدقيق.... تتضمن حكما بالهامشية مقابل مركزية مفترضة". (معمري، 2011، صفحة 48)، نجد أن مواقف المرأة سواء كانت ناقدة أو مبدعة منحازة إلى تجاهل هذا المصطلح، وعدم الاعتراف به باعتبار أن الأدب النسائي أدب إنساني بالدرجة الأولى، ولا توجد أي ملامح خاصة وواضحة ومتعامل بها تربط هذا النوع من الأدب "أدب المرأة"

أما الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي تقول في هذا المصطلح:" أنا لا أؤمن بالأدب النسائي، وعندما أقرأ كتابا لا أسأل نفسي بالدرجة الأولى هل الذي كتبه رجل أم امرأة". (معمري، 2011، صفحة 49) بطبيعة الحال فهي ترفض تقسيم الأدب إلى نوعين لأن الموضوع هو جوهر النص، وهو وحده قادر على فرض نفسه عند كل ما يتلقاه ومن يريد الاطلاع عليه، وإسناد أي عمل إبداعي إلى ذات أو مؤلف معين يصبح ضربا من التعسف، وكأنها تقول إنه ليس منطقيا التفريق في الأدب بين الرجل والمرأة ولا يوجد اختلاف بينهما إلا في الجنس، حيث تختزل دلالة الأنثوي في الضعف مقابل القوة، والاستلاب الذكوري للمرأة التي مازالت رهينة تجربة السلطة الأبوية التي تعطيها حق الإبداع الأدبي .

وتجدر الإشارة إلى أن الفوارق البيولوجية الموجودة بين المرأة والرجل لا شك أن لها تأثيراتها النفسية على العمل الإبداعي، لكن إذا نظرنا إلى الهوية الجنسية للعمل الإبداعي الفني فقد يفقده جمالياتها الفنية، ومما لا شك فيه أن الأدب هو الأدب سواء كان أدبا تكتبه المرأة أم يكتبه الرجل، وجنس الكاتب لا يبرز جودة أو رداءة النص الإبداعي، فكلا من الرجل والمرأة يلتقيان في أكثر من هم من هموم الكتابة.

وعليه فإن رفض معظم الكاتبات لمصطلح النسوي أو النسائي لا يدل على أنه مرفوض تماما في الساحة النقدية، وإنما هناك فئة آمنت وأشادت بوجود أدب نسائي له خصوصيته وسماته التي تميزه باعتباره مصطلحا جديدا يعبر عن إبداع المرأة في مجال الكتابة، وقد نهض هذا النوع من الأدب بفضل جهود بعض الكاتبات والمبدعات اللواتي أردن تطويره وشيوعه في الساحة الأدبية حتى يصبح إبداعا يستحق القراءة والدراسة.

تصف بثينة شعبان العمل الروائي النسوي بأنه يعبر عن مدى وعي المرأة لأبعاد العلاقات الاجتماعية وجذورها، فتقول:" علينا أن نبدأ بتحديد سمات الأدب النسائي العربي من خلال دراسة

هذا الأدب دراسة جادة ومعمقة، وهادفة، وليس من خلال ترديد مقولات مستهلكة وعميقة حينئذ قد تشعر جل كاتباتنا بالفخر لإلحاق صفة نسائي بكتاباتهن، وقد نضيف الجديد والغني إلى الأدب العربي بأدب نسائي طال إهماله وتجاهله وتشويه منهجه ومغزاه" (معمري، 2011، صفحة 50)، فالمرأة يحق لها أن تفتخر بأدبها وتعتز به بدلا من تجنبه والخجل به.

كما نجد محمد جلاء إدريس يعتز بمصطلح الأدب الأنثوي فيعرفه " بما تكتبه المرأة من أدب في مقابل ما كتبه الرجل دون أن يحوي هذا المصطلح أحكاما نقدية تعلي أو تحط من قدره، ويرفض المسميات الأخرى كالنسوية أو النسوي" (معمري، 2011، صفحة 47)، باعتبار أن لفظ الأنثى يستدعي على الفور وظيفتها الجنسية، وذلك لفرط استخدام اللفظ لوصف الضعف والرقة والاستسلام والسلبية، ولا يمكن أن يكون من أسس تصنيف النص في خانة تدخل على أن النص نسوي أي: نصا مكتوبا بقلم المرأة، إذ يمكن للرجل أن يكتب نصا أنثويا، والدليل على ذلك شعر نزار قباني الذي لا يمكن تسميته بالنص النسوي استنادا لمرتكزات النوع، وعليه نجد أيضا الناقدة زهرة جلاصي تقترح" استخدام مصطلح النص الأنثوي بديلا عن مصطلح الكتابة النسوية مؤكدة على التعارض القائم بين المصطلحين من حيث الدلالة والمعنى المعجمي" (رضا، 2016، صفحة 06).

وفق هذا التحديد المعرفي للمصطلح والاختلافات التي طرأت عليه، والغموض الذي لحق معناه في المسميات التي تعددت منها الأدب النسوي أو النسائي أم الأنثوي، يمكننا أن نقدم وجهة نظر، وعلى أساسها يمكن ضبط مفهوم حول المصطلح، إذ لا يصح تسميته بأدب نسائي لأنه لا يحمل توجها فكريا محددا، وإنما يحمل معنى التخصيص الذي يدل على الانغلاق والحصر في دائرة جنس النساء، كما لا يمكننا أن نصفه بالأنثوي لأنه يستدعي الوظيفة الجنسية(ذكر، أنثى)، ويدل على وصفه بالضعف والرقة والاستسلام والسلبية، وهذا ما لا نبتغيه لإبداع المرأة، أما مصطلح النسوي هو أكثر دلالة على ما تحمله كتابة المرأة من خصوصية بالمقارنة مع ما يكتبه الرجل، لأنه يتناسق في توجهه مع أفكار النقد النسوي الهادف إلى زعزعة الفكر الذكوري ومحاولة بناء خطاب جديد، وهذا ما سعت إليه الكاتبات المبدعات، وتجدر الإشارة إلى أن كلمة نسوي أو كتابة نسوية تبقى مجرد مصطلحات غربية فرضت هيمنتها على الذهنية العربية، وبهذا نصل إلى خلاصة مفادها أن الأدب سواء كتبته امرأة أو رجل فالمهم فيه مدى تبنيه لقضايا الإنسان.

4- المرأة الكاتبة في الجزائر وعنفوان الكتابة:

يعتبر تاريخ المرأة العربية عامة والجزائرية خاصة استشهادا طويلا يحكي تفاصيل استبدادها ومعاناتها الطويلة وسط مجتمع ذكوري احتقرها وظلمها، وطمس شخصيتها ونفى وجودها ككائن له حقوق وواجبات، حيث اعترف بالواجبات لكونها ربة بيت خلقت لخدمة زوجها وتربية أطفالها والقيام بكل أشغال البيت، كما نفى حقوقها في التعليم وحرية التعبير عن أفكارها وطموحاتها، وهذا ما أكدت عليه مي زيادة في قولها: "لقد جعلتها الهمجية حيوانا بيتيا، وحسبها الجهل متاعا ممتلكا للرجل يستعمله كيفما يشاء، ويهجره إذا أراد، ويحطمه إذا خطر له في تحطيمه خاطر، وكانت بعد ذلك عبدة شقية، وأسيرة ذليلة" (زيادة، 1975، صفحة 93)، وهذا يدل على أن المرأة عاشت المعاناة بكل

تفاصيلها تحت وطأة السلطة الذكورية الذي احتقرتها وجعلتها تنْظَمُّ غصبا عنها إلى خانة الدونية، لذلك أصبح جل إبداعها ضد الرجل لتثبت له مدى قوتها وحضورها كذات فاعلة في المجتمع، وهذا ما نجد معناه عند مي زيادة: "قالوا إن المعارف لم تخلق للمرأة وأن العالم ينهب بجمالها وتواضعها ولطفها، وإنه يجعلها متكبرة جافة..... وها نحن نراها إذا تعلمت زادت جمالا وحنانا أكيدا، واحتراما للعائلة، وإجلالا للرجل، وكم قالوا إنها لا عقل لها... وها إننا نراها بعيدة النظر ثابتة المقاصد، مغرقة منفعتها الشخصية في بحر المنفعة العامة" (زيادة، 1975، صفحة 40)، حيث أصبحت المرأة تفهم وتدرك تماما معاني الحياة، لأن هدفها واحد ورغبتها شديدة وقوية لترقية نفسها، وإعلاء مداركها، وتربية شخصيتها على بث الخير والسعادة في محيطها، إذ أصبحت تنادي بأعلى صوتها من أجل التحرر لكي تتحرر الإنسانية باعتبارها أم المجتمع.

إن حركات النساء التي ظهرت حققت نجاحا باهرا كانت تتمناه منذ زمن بعيد، فالمرأة أرادت النهوض من جديد لرد اعتبارها وإثبات ذاتها في وسط لطالما غيب وجودها كذات مبدعة، حيث اقتحمت ميدان التعليم لتطوير حياتها الاجتماعية متجاوزة كل القيود التي تعيقها على النهضة والتطور على حد تعبير الكاتبة فضيلة مرابط: "إن احتكاك الفتاة بالكتب وبحضارة أخرى، وعملها، وتعودها على التفكير واشتراكها في البحوث والمناقشات، يؤدي إلى تغييرها، ربما لا تطلب شيئا ولا تبدل وضعها بصورة مباشرة، لكنها تصبح أقل ليونة من الفتاة الأمية، وتتحول إلى شيء من الإنسانية" (بامية، 1982، صفحة 207)، فتكونها المعرفي والثقافي مكّناها من تجاوز الطابوهات التي تجعل المحظور حاضرا والمستحيل ممكنا.

اقتحمت المرأة الجزائرية عالم الكتابة، واتخذتها وسيلة لتحقيق ذاتها المقموعة باسم الأعراف الاجتماعية البالية التي نظرت إلى المرأة الكاتبة بنوع من الريب والسخرية، " فالأنثى التي تكتب هي أنثى ترتكب خطيئة" (بوزة، 2008، صفحة 245)، وهذا ما عمل عليه الخطاب الذكوري وأسس له منذ زمن طويل، بحكم أن المرأة لا تكتب وإذا كتبت فإنها لا تبدع، فهمه الوحيد إبعادها عن حقل الكتابة حتى يتسنى له ممارستها لوحده، وتبقى المرأة في زاوية التهميش والقهر والخنوع لسلطة الرجل، فالرجل يرى في دخول المرأة عالم الكتابة تهديد لسلطته وزعزعة مكانته وخلخلة المألوف والموروث.

لكن المرأة الكاتبة تحدت الرجل وعانقت عالم الكتابة، فاقتحمت المملكة التي لطالما تمنت الولوج إليها، فطوّعت اللغة للبوح بمعاناتها، والحديث عن مأساتها وتطاول الآخر في تهميشها وتغييبها حضاريا وثقافيا، وجعلت من لغة الآخر لغة للأنوثة تحكي آهاتها وتترجم أوجاعها، وفي عالم الكتابة وجدت الكاتبة الجزائرية فضاء حميميا تمارس فيه حرية القول لتصرخ وتعبر عن ألمها وتفصح عن مكبوتاتها، لأن الكتابة تصبح " لغة جديدة وحميمية، هي وحدها ما يسمح للجسد الفردي الواقعي أو المتخيل بسرد حكايته الملونة بأحلامه ورغباته وجروحه العميقة القديمة والمتجددة باستمرار" (بوزة، 2008، صفحة 246)، فالمرأة عندما تكتب فإنها تكتب بإحساسها، تتحدث عن معاناتها وأوجاعها، وتعبر عن ذاتها، وتحكي سيرتها ومسارها وصراعها الطويل لإثبات هويتها، حتى يتكون عنفوانها، وهذا ما جسدته

في كتاباتها الروائية، وعبرت عنه الروائية فضيلة الفاروق وهي تكشف عن سر تحولها من القصة إلى الرواية فتقول: "لم تعد القصة تستوعب ألمي، أصبح يلزمني دفاتر ودفاتر لأملأها بما يؤلمني" (بوزة، 2008، صفحة 246).

5-الكتابة في مواجهة المجتمع الذكوري (المتمردة لمليكة مقدم)

تتحدث التجربة الإبداعية النسائية عن كسر صمت المرأة لإثبات حضورها، إذ تعتبر الكتابة عندها فضاء رحب تنبثق منه الذات الأنثوية لتحارب فكرة المجتمع الذكوري الذي

ينفي إبداع المرأة ويحتفي بإنتاجه، وهذا ما جعل المرأة الكاتبة تتمرد على كل التقاليد السائدة وكشف المستور، ومن بين الكتابات التي اهتمت بالمرأة كإنسان وقدرت وجودها، واحترمت كيانها، وتجاوزت كل الحواجز التي تقف أمام إبداعها نجد رواية " المتمردة" لمليكة مقدّم، فهي تتحدث عن الحرية ولا ترى تحقيقها إلا بفعل الكتابة، فالكتابة تمنحها الهوية الأنثوية، ونجدها في الرواية تتحدث عن الحرية من خلال بطلتها تلك الفتاة الجزائرية التي عايشت احتلال فرنسا للجزائر، كما نجدها تصور لنا الوضع المأساوي الجزائري إبان الاستعمار.

اتخذت مليكة مقدم عنوان الفصل الثاني" ليلة الأجساد الراحلة" من روايتها عنوان حياتها وبداية تمردها، وهذا واضح في النص عندما قالت: "المراهقة الجريحة، وخيبة الأمل من الأحلام التي كان يغذيها انتظار الاستقلال، أثارت في وهم أن الحرية كانت توجد في نمط الحياة الذي تخلّت عنه عائلتي أي نمط حياة القوم الرحل" (مقدم، 2004، صفحة 07)، كأنها تحمل حزنا وألما من خلال انتظارها للحرية واستقلال أفكارها واستقلالها من عادات وتقاليد عائلتها بالدرجة الأولى ومن مجتمعها بالدرجة الثانية كما قالت " كنت أتخيل نفسي وأنا أتقدم بصعوبة خلال الصحاري الحوضية والسهول الحصوية وأنا أبلغ صحاري وصحاري في سيارة كي أقدم الإسعافات لآخر المتكلكلين في الخطيئة كي ألقح أبناءهم" (مقدم، 2004، صفحة 120)، فالساردة لا تقصد الإسعافات الطبية وإنما إسعافات توعوية لأولئك الناس المتكلكلين في الخطيئة، فهي تريد أن توقظ مشاعر أبنائهم من جديد وتغرس في روحهم حب الحياة وجمال الحرية.

أصبحت الكاتبة تعيش نوعا من الضغط والإرهاق من محيط أسرتها خاصة أمها التي تميزت بالقسوة في تعاملها مع ابنتها فتقول: "الأفضل ألّا أدين بشيء لهذا البلد، لا شيء كنت أعتقد أنني أكرهه كما كنت أعتقد أنني أكره أمي" (مقدم، 2004، صفحة 105).

فالكاتبة كانت تكره بلدها الجزائر وخاصة مسقط رأسها بشار لأنه كان يقف أمام أحلامها مثله مثل أمها، فهي لم تحس بحنان ودفء العائلة إلا مع جدتها التي كانت أنيسة لياليها، تروي لها الحكايات، فاستطاعت أن تبتدع منها كتابات مغايرة لأنها كانت شغوفة بالكتابة والتعلم وفيهما تجد حريتها المفقودة " ولكني كنت أمتلك ملاذي الورقي، القراءة" (مقدم، 2004، صفحة 52)، أي أن القراءة كانت ملاذها ومصدر راحتها.

كما نجد أن العالم الخارجي للروائية كان ينظر إليها بنظرة دونية تجعله يصنفها في مستوى أقل من مستوى الرجل، فعندما أرادت أن تشارك والدها فرحة حصولها على نقاط جيدة في الدراسة، كانت

ردة فعله التجاهل " لا داعي لهذا التعب، فأنت لست ولدا يا ابنتي" (مقدم، 2004، صفحة 55)، هنا بالذات نلمس نوعية الاحتقار المبالغ فيه اتجاه المرأة، ففي نظره أن المرأة لا تصلح للدراسة وإنما تصلح للإنجاب والتربية وإدارة شؤون البيت، وهذا التهميش والنظرة الدونية المقزمة للمرأة جعلها تخترع لنفسها دائما حياة قادرة على سحق هذا الازدراء مع إصرارها الدائم وإرادتها القوية على محاربة كل هذه القوانين غير العادلة حتى تحصل على حق الوجود .

لذلك كانت تكِن ـ كرها لتلك التقاليد التي تكبّل المرأة ولهذا السبب تمرّدت على مجتمعها وأسرتها وحتى على نفسها، وتبنّت اعتقادا جعلته مبدأها وهدفها الكبير في الحياة: "لقد كان الأرق والعزلة والقراءة حرياتي الأولى في مختلف أشكال الرقاد المرتجل والمهدد والمرتحل" (مقدم، 2004، صفحة 11)، لأن الحياة التعيسة التي عاشتها في بيت أسرتها كانت بداية تمردها وانتقامها.

ومن مظاهر التمرد أيضا هو إكمال الفتاة تعليمها الجامعي، ورفض الزواج وعدم الامتثال لأوامر الأهل فتقول: " على الرغم من الوعد الذي قطعه أبي على نفسه أمام مديرة المدرسة، فقد كادوا يزوجونني في بداية الصيف الأخير... استفدت من المهلة التي تركها لي والداي اللذان كانا مشغولين باستقبال ضيوف الرحمن، تسللت من المنزل ومن القرية، طلقت ساقي للريح والخوف يجتاحني، لقد كان للفضيحة التي تسبب فيها هروبي وقع فوري" (مقدم، 2004، صفحة 123)، فالحل الوحيد الذي رأته الكاتبة ملائما لهذا الوضع هو الهروب من المنزل دون التفكير في العواقب، حيث نجدها فخورة بالإنجاز الذي حققته والمتمثل في هروبها من الحياة القاسية وبهذا التصرف اللاعقلاني أرادت أن تنتقم وتتحدى الجميع حتى تثبت لنفسها وللآخرين بانها امرأة ناجحة وقادرة على تحمل مسؤولياتها، فقد أرادت من تمردها على أعراف المجتمع البالية التغيير والرغبة في الحرية.

تجدر الإشارة هنا إلى أن رواية "المتمردة" لمليكة مقدم طرحت مواضيع هامة وعميقة، إذ نجد أن تمردها على الدين والمجتمع والعادات والتقاليد إنما سعي منها لتغيير الوعي اللغوي والثقافي والحضاري الذي تبناه العقل الذكوري السائد والمهيمن بأفكاره المتسلطة، فكتابة المرأة لا تستهدف أحدا وإنما تسعى إلى تغيير العقلية السائدة التي همشت المرأة وجعلتها كائنا غير مرغوب فيه في الثقافة والحضارة.

6-خاتمة:

على ضوء ما سبق. نخلص إلى القول إن الكتابة النسوية العربية عموما والجزائرية خصوصا بدأت تشق طريقها بخطوات ثابتة، وتؤسس لنفسها حضورا أدبيا متميزا، إذ بدت اللغة أكثر حيوية وجمالا، ابتعدت عن الخطابية التقريرية الجوفاء، وراحت اللغة تكشف عن حيويتها وقدرتها على سبر أغوار الذات بلغة شعرية تسلب الألباب، واستطاعت المرأة الكاتبة أن تتخذ لنفسها مكانة مرموقة، وموقعا مهما في الخطاب النقدي المعاصر، ويعود ذلك إلى سعيها الدؤوب ورغبتها الجامحة لإسماع صوتها، وإثبات حضورها في الساحة الإبداعية عامة والأدبية خاصة.

**

- قائمة المصادروالمراجع:

1- الزهراني ,م.(1999). صورة الغرب في كتابة المرأة العربية .أفق التحولات في الرواية العربية. دراسات وشهادات . بيروت :المؤسسة العربية للنشر.

2- السائح ,ا .ب.(2012) . سرد المرأة وفعل الكتابة .دراسة نقدية في السرد وآليات البناء .الجزائر :دار التنوير.

3- العيد ,ي. (1975) .أفريل . مساهمة المرأة في الإنتاج الأدبي .*مجلة الطريق* .

4- الغذامي ,ع .ا.(2006) . المرأة واللغة .الدار البيضاء :لمركز الثقافي العربي.

5- الفاروق ,ف .(2003) . تاء الخجل .بيروت :رياض الريس للكتاب والنشر.

6- القرشي ,ر .(2008) .النسوية .قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب .الجمهورية اليمنية :دار حضر موت للدراسات والنشر.

7- بامية ,ع .أ .(1982) . تطور الأدب القصصي الجزائريDans .(1925-1967). *تر :محمد صقر* .الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية.

8- بوزة ,س .ب. (2008). صورة المرأة في الرواية النسائية الجزائريةالعربية .*مجلة المعنى، لمركز الجامعي، خنشلة، الجزائر* .

9- رضا ,ع. (2016). الكتابة النسوية من التأسيس إلى إشكالية المصطلح، .*مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب والفلسفة* .

10- زيادة ,م.(1975) . كلمات وإشارات .بيروت :مؤسسة نوفل.

11- معمري ,أ. (2011) .ديسمبر . إشكالية الأدب النسوي بين المصطلح واللغة .*مجلة مقاليد*)لعدد الثاني.

12- مقدم ,م.(2004) . المتمردة Dans .*تر :محمد المزيودي* .الدار البيضاء، المغرب :المركز الثقافي العربي.

13- مناصرة ,ح.(2007) . النسوية في الثقافة والإبداع .الأردن :عالم الكتب الحديث.